الأسرة في خطاب الحركات النسوية الغربية

إلهام حاكمي
طالبة باحثة في سلك الدكتوراه
جامعة محمد الأول، وجدة
المغرب

تعتبر قضية الأسرة من بين أهم القضايا التي شغلت الفكر النسوي بمختلف تياراته، منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، وذلك راجع إلى الدور الأساسي الذي تلعبه الأسرة في تحديد معالم المجتمع وخلق قيمه الخاصة، فما المجتمع إلا وحدات أسرية ترتبط فيما بينها بقوانين أنتجت داخل الأسرة نفسها، فأي خلل يشخص في المجتمع لابد أن تكون بؤرته الأسرة، وأي تغيير مرتقب فيه لا بد أن ينطلق منها، إذ في كنفها تتكون الأفكار وتصاغ القوانين الاجتماعية والأخلاقية وتقسم الأدوار بين الجنسين، وقد مرت الأسرة عبر التاريخ بتحولات عدة إلى أن استقرت على الشكل الذي نعرفه اليوم والذي يسمى بالأسرة الأبوية، وهي تلك التي يكون فيها الأب/ الرجل رئيسا للأسرة ويكون باقي الأفراد مرؤوسين وتابعين له، وقد انتقدت الحركات النسوية هذا الشكل من الأسرة انتقادا شديدا باعتبارها ممرا لتفويت القيم الذكورية والأبوية عبر الأجيال، وهي قيم تحط من قدر المرأة وتسعى إلى جعلها خاضعة بشكل دائم للنظام الأبوي الذي تعتبره النسويات خصما وعدوا وعائقا أمام نهضتهن، والقضاء على هذا العدو يستدعي بالضرورة القضاء على الأسرة كونها حاضنة له، لذلك فقد كرسن أفكارهن وأقلامهن وما أوتين من نفوذ من أجل القضاء على منظومة الأسرة، وسنحاول من خلال هذا البحث تفكيك الخطاب النسوي لنكشف عن أصل العداء بينه وبين الأسرة، وعن الطرق والوسائل التي استعملتها النسويات لتحقيق هدفهن هذا وعن النتائج التي وصلن إليها.

المطلب الأول: الأسرة في الثقافة الغربية

عادة ما يتم الربط بين ما وصلت له الأسرة الغربية المعاصرة من تفكك واضطراب وغياب لكل ما كانت توفره سابقا من أمن اجتماعي وعاطفي واقتصادي لأفرادها، وبين ظهور الحركات النسوية، إلا أنه بعد البحث يتبين أن مكانة الأسرة في الحضارة الغربية لم تكن دائما مستقرة، إذ عادة ما يقارب الغربيون العلاقة بين الرجل والمرأة من جانبها البيولوجي فقط فيعرفون الأسرة بأنها تلك المؤسسة التي تنظم فيها عملية التناسل، أو يقاربونها من الناحية الاقتصادية فقط فتكون الأسرة وحدة اقتصادية تتم فيها عملية الإنتاج والاستهلاك معا، أما مفهوم الأسرة كما نعرفه نحن المسلمون من كونها وحدة اجتماعية يرتبط فيها الرجل والمرأة بميثاق غليظ ويحكمها قانون الرحمة والمودة والإيثار وحسن المعاشرة والغاية منها تحقيق الأمن والسكينة، لقوله تعالى:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون[1]"، ثم الحرص على تمرير القيم السامية والأخلاق الحسنة للأجيال القادمة حتى يكونوا كما أراد الله لهم في قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرج للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[2]، هذا المفهوم السامي للأسرة والذي يروم تحقيق الخير والفائدة للفرد والمجتمع عادة ما يغيب عن الفكر الغربي الذي يعتبر الأسرة مهدا للصراع الطبقي والاجتماعي، وسجنا اجتماعيا يسلب من الإنسان فرديته وحريته، وهو الرأي الذي آمن به ودافع عنه الكثير من العلماء والفلاسفة الغربين عبر التاريخ، بداية من الفلسفة اليونانية ومرورا بفلسفة الآباء ثم وصولا إلى النزعة الاشتراكية والفلسفة الشيوعية بقيادة كارل ماركس وفريدريك أنجلز، فالأمر قد بدأ مع أفلاطون الذي ألغى نظام الأسرة من جمهوريته لاعتبارها أمرا ينافي فكرة العدالة التي ينشدها في دولته، ولأجل ذلك اقترح إلغاء الزواج الفردي واستبداله بالشيوعية الجنسية[3]، كما جعل من إنجاب الأطفال شأنا تسهر الدولة على تنظيمه في مواسم خاصة وبكيفية محددة، فيتم تزويج الأذكياء بالذكيات والأقوياء بالقويات والعاديون بالعاديات[4]، كما دعا إلى القضاء على رابطة الأمومة حيث ينتزع من المرأة أبناؤها فور ولادتهم حتى لا تتمكن من معرفتهم، والدولة هي من تتولى أمر تربيتهم وتنشئتهم، ولا يحتفظ إلا بالأصحاء والأقوياء منهم أما الباقي فيتم رميهم من جرف عال، وهكذا لن تبق رابطة تجمع بين المرأة والرجل والأطفال سوى انتماؤهم للدولة[5]، ففي نظره الأواصر الأسرية تضعف الدولة وتجعل التحكم فيها صعبا، والولاء لها أمرا ثانويا، وقد خالفه تلميذه أرسطو في هذا الرأي حيث أكد على أهمية

الأسرة في بناء الدولة واستمرارها، إلا أنه قد حط من أهمية المرأة داخل مؤسسة الأسرة وحصر دورها في الإنجاب فقط فهي في نظره مخلوق لا يستطيع تملك الأخلاق الفاضلة[6].

وقد نحى آباء الكنيسة في المسيحية منحى أفلاطون فحطوا من قيمة الزواج واعتبروه ملهاة عن عبادة الله وشرا لا بد منه، وأعلوا من قيم التبتل والرهبنة[7]، وذلك استجابة لوصايا رسولهم بولس التي يعتبرونها جزءا من نصوصهم المقدسة بل هي أهم النصوص إطلاقا باعتبارها شرحا عمليا لتعاليم المسيحية، يقول بولس:" فغير المتزوج يهتم فيما للرب وهدفه كيف يرضي الرب، أما المتزوج فيهتم فيما للعالم وهدفه كيف يرضي امرأته[8]"، كما جعلوا من البيت سجنا تقضي فيه المرأة عقوبتها التي اختارها الله لها بسبب ذنب أمها حواء، ومكانا ينتقم فيه الرجل من المرأة لإخراجها له من الجنة، واعتبروا مشاق الحمل والولادة نتيجة طبيعة لخطيئة حواء، إذ جاء في سفر التكوين: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ[9]".

كما أقنعوا النساء أن الرهبنة هي الطريقة الوحيدة ليتخلصن من ذنوبهن ومن وضعهن المتدني[10]، وأقنعوا الرجال أن النساء رجس وشر وحبل من حبائل الشيطان، كما جعلوا من فكرة أن الرجل خلق أولا والمرأة خلقت ثانيا أساسا للتفاضل بين الرجال والنساء، إذ قال رسولهم بولس :" لأن آدم جبل أولا ثم حواء، وآدم لم يغو ولكن المرأة اغويت فحصلت في التعدي ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"[11]، ولذلك كانت الأسرة في عرفهم تقوم على أساس التراتب والسلطوية لا على أساس المساواة والمشاركة، يقول بولس:" كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء[12]" فالمرأة من الرجل كالعبد من السيد، وهي أقل منه شأنا من الناحية العقلية والأخلاقية والجسدية لذلك كان تسلطه عليها أمرا مشروعا وطبيعيا، ولذلك منح الأب الملكية الكاملة على أفراد أسرته بما في ذلك حرية التصرف في أجسادهم بالبيع أو الإيذاء وأحيانا القتل أيضا.

ومع غياب القوانين والنصوص التشريعية التي تحمي المرأة من التسلط المبالغ فيه من الرجل وتضمن لها حقوق العيش الكريم، فقد عانت المرأة الغربية في ظل الأسرة الأبوية أشد المعاناة، الأمر الذي جعل الفيلسوف فريدريك أنجلز يعتبر أن أول خضوع عرفته البشرية هو خضوع المرأة للرجل في ظل الزواج الأحادي والأسرة الأبوية[13]، وهو خضوع يقوم على أساس اقتصادي بحت، حيث أن حرمان المرأة من تملك وسائل الإنتاج وحصرها في الأدوار المنزلية غير المنتجة هو السبب في تدني وضع المرأة داخل الأسرة، وقد تأثرت النسويات بأفكار أنجلز وبالفكر الماركسي عموما أيما تأثر، ومنه استلهمن فكرة تقويض الأسرة كحل للقضاء على العبودية والطبقية والظلم الاجتماعي الذي تعرضت له النساء عبر التاريخ.

المطلب الثاني: الأسرة في الفكر النسوي

لقد كانت أفكار أفلاطون وأنجلز وغيرهم ممن جعلوا من تفكيك الأسرة حلا للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية منحصرة في بعدها التنظيري فقط، إلى أن ظهر التيار النسوي وأخذ على عاتقه نقلها من النظرية إلى التطبيق، وقد كان هذا الموضوع أشد ما اختلفت حوله النسويات داخل حركتهن وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف وتنوع التيارات الفكرية التي ينتمين إليها، والتي تنوعت ما بين ليبرالية وماركسية وأخرى راديكالية.

أولا: التيار النسوي الليبرالي

تعد النسوية الليبرالية أقدم التيارات النسوية، إذ تبنى الليبراليون الدفاع عن حقوق المرأة حتى قبل تأسيس الحركة النسوية، والليبرالية تيار فلسفي وسياسي ظهر أثناء عصر التنوير وشاع في القرن التاسع عشر كنتيجة من نتائج الثورة الفرنسية، ويركز على قيم الحرية الفردية والمساواة والعقلانية كما يؤكد على الحقوق الطبيعة للإنسان وأن الناس خلقوا متساويين ولا يجب التميز بينهم لأي سبب من الأسباب[14].

ويعد التيار الليبرالي تيارا إصلاحيا يدافع عن حقوق المرأة من داخل النظام ذاته، وذلك عبر مطالبته بتغيير البنية القانونية للمجتمع مع احترام قيمه والحرص على بقاء مؤسساته بما فيها مؤسسة الأسرة، فلم تكن لدى الليبراليين أي نزعة راديكالية، وهو الأمر الذي جعله يلقى قبولا لدى مختلف أطياف المجتمع عكس باقي التيارات التي عرفت بالتطرف والمبالغة في الدفاع عن قضايا المرأة[15].

يقر هذا التيار بالفروق والاختلافات الجنسية بين الرجل والمرأة، وبالتالي بالأدوار الاجتماعية المختلفة داخل الأسرة، لكنه يرفض أن تكون هذه الاختلافات مبررا وأساسا للتمييز بينهما، إذ يمكن للمرأة التمتع بنفس الحقوق الاجتماعية والسياسية والحصول على نفس الأجر مادامت تقوم بنفس العمل الذي يؤديه الرجل[16]، ويعتقد هذا التيار أن عدم المساواة بين الجنسين ليس منشؤه المجال الخاص أي الأسرة، بل هو ناتج في المقام الأول عن عدم المساواة في المجال العام أي المجال السياسي والتشريعي، كما فسر أسباب التهميش الذي تعاني منه المرأة داخل الأسرة بطغيان الأفكار والأعراف والعادات الاجتماعية التي تهين المرأة وتحط من قدرها، والتي دعمتها المعتقدات الدينية وبعض الأفكار الفلسفية التي لا أساس لها من الصحة[17]، ومن أجل القضاء على هذا التمييز راهن الليبراليون على أمرين أحدهما التعليم الجيد غير المتحيز جنسيا والقادر على تغيير المجتمع، والثاني هو الضغط من أجل تغيير القوانين والتشريعات التي تعمق الهوة بين الرجل والمرأة[18]، وبدلا من إبداء العداء تجاه الأسرة والدعوة إلى إلغائها دعا هذا التيار إلى إصلاحها، وذلك عبر دعم المسؤوليات المشتركة بين الجنسين وتعزيز قيم المساواة والاحترام، وسن القوانين التي تحفظ لكل فرد من أفراد حقه وذلك حتى تتمكن الأسرة من أداء وظائفها التي يحتاجها المجتمع.

ثانيا: التيار الماركسي

"إن الماركسية نظرية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة، وقد اتخذت شكلها في أواسط القرن التاسع عشر بناء على القواعد الناقدة للنظام الليبرالي الرأسمالي السائد في الغرب"[19]، "ويعتقد مؤسسها كارل ماكس بأن النظام الرأسمالي القائم على أساس الملكية الخاصة أدى إلى تقسيم المجتمع إلى طبقتين[20]: طبقة رأسمالية ظالمة وطبقة عاملة مظلومة، وحيث أن بقاء هذا النظام يعتمد على المزيد من الأرباح، لذا فإن الطبقة الرأسمالية تحافظ على وجودها عبر التسلط والاستغلال والظلم للطبقة العاملة، وللحصول على مجتمع خال من الظلم، لابد من النضال لإزالة الرأسمالية وتشكيل مجتمع شيوعي، وقد استعملت النسويات كافة النظريات التي وضعها ماركس لتحليل وضع المجتمع بهدف تحليل وضع المرأة"[21]، وعكس ما كان شائعا بين العموم من أن سبب خضوع المرأة راجع بالأساس إلى خصائصها البيولوجية الطبيعية التي لا يمكن أن تتغير، رأى هذا التيار أن سبب خضوع المرأة هو اقتصادي بحث يمكن تغييره[22].

وللماركسية تاريخ طويل في تعهدها والتزامها بتحرير النساء باعتبارهن عاملات منتجات(إنتاج الأطفال والعمل المنزلي) يتم استغلالهن وسرقة جهودهن من طرف المجتمع الأبوي الرأسمالي لأنهن لا يملكن وسائل الإنتاج شأنهن شأن العامل المستغل من قبل صاحب العمل[23]، وقد اعتمدت نسويات هذا التيار على أفكار أنجلز الذي ذهب إلى أن أول صراع ظهر في التاريخ هو الصراع بين الرجل والمرأة في ظل الزواج الأحادي ويتماشى مع هذا الصراع أول خضوع في التاريخ وهو خضوع المرأة للرجل، وقد بدأ هذا الصراع مع ظهور الملكية الخاصة والنظام الأبوي الذي اعتبره أنجلز الهزيمة التاريخية العالمية للجنس المؤنث وبداية تأريخ لخضوعه وشقائه[24]، حيث تم أول تقسيم جنسي للعمل في ظل هذا النظام إلى مجالين:

- عام/ نافع/ مؤدى عنه: يخص الرجل ويمتلك فيه الحقل ووسائل الإنتاج بما فيها اليد العاملة والتي عادة ما كانت تتكون من العبيد وباقي أفراد الأسرة.
- خاص/غير نافع/ غير مؤدى عنه: ويخص المرأة وينحصر في إنجاب وتربية الأطفال والأعمال المنزلية غير المؤدى عنها.

وقد انتقدت النسويات الماركسيات هذا التقسيم بشدة ووصفنه بالمجحف والغير العادل وقد خلقن نقاشا حادا حول الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للأعمال المنزلية وعلاقتها باضطهاد المرأة ودعين إلى اعتبار العمل المنزلي ورعاية الأطفال عملا حقيقيا يجب أن تتقاضى النساء عليه أجرا[25].

كما تركز النسوية الماركسية على وضع النساء في العمل وحبس المجتمع لهن في المجال الخاص، بينما يسيطر الرجال على المجال العام، وتلقي الضوء على التمييز الجنسي في مجال العمل، حيث يتم منع النساء من العمل في مجالات معينة أو تولي مناصب معينة، وتقاضيهن أجورًا أقل من الرجال، مما يؤدي إلى اضطهاد النساء وسلب قوتهن الاجتماعية[26].

وتركز النسوية الماركسية على إحداث تغيير مجتمعي شامل، لا على تغيير الفرد المكون لهذه المجتمعات، فبتحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة اجتماعية لن تبق العائلة الفردية وحدة المجتمع الاقتصادية، بل سيصبح الاقتصاد البيتي الخاص فرعا من فروع النشاط الاجتماعي، وتغدو العناية بالأطفال وتربيتهم من شؤون المجتمع، مما سيحرر المرأة من العمل المنزلي المرهق، وإن ترافق ذلك مع خروج المرأة إلى العمل وما سيؤمنه لها من استقلال اقتصادي، لكفيل بتحقيق المساواة بين المرأة والرجل، وبزوال شكل الأسرة القائم على سيطرة الرجل الاقتصادية والاجتماعية، ستبقى العلاقات الإنسانية قائمة على الحب المتبادل فقط[27].

ثالثا: النسوية الراديكالية

"يمكن اعتبار الراديكالية نزعة وطريقة للتناول والمعالجة وليس مدرسة فلسفية تتميز برؤى فلسفية خاصة وتعني الراديكالية العلاج من الجذور، وفيها حدة وتطرف وميل للأساليب العنيفة والقاطعة، وهذه النزعة موجودة في كل الفلسفات والأديان تقريبا، وبالنسبة للحركات النسوية فإن كل المدارس التي جاءت بعد الليبرالية كالاشتراكية والوجودية والبنيوية كانت تتسم بنزعة راديكالية أو متطرفة بخصوص قضية المرأة، ودعت إلى علاجات اتسم الكثير منها بعدم الواقعية والبعد عن التدرج والانحياز المفرط للمرأة دون النظر إلى السياق الاجتماعي والمصالح التي هي فوق الرجل والمرأة أيضا"[28] .

ظهر هذا التيار في ستينيات القرن العشرين في مختلف الدول الغربية أي أنه ينسب إلى الموجة الثانية من النسوية، وانبثق من داخل مجموعة من الحركات الاجتماعية (الحركة الطلابية، اليسار الجديد، الحقوق المدنية ....) وتنشط فيه الفتيات الجامعيات والنساء المثقفات من الطبقة المتوسطة البيضاء الأمريكية، لذلك اعتبر هذا التيار حركة نخبوية[29].

على عكس باقي الحركات النسوية، فإن الحركة النسوية الراديكالية تركز على أسس الاضطهاد وجذوره المتمثلة في النظام الأبوي ولا تكتفي بمجرد التغييرات التشريعية أو الاقتصادية كما نحت الحركة الليبرالية والماركسية، إذ يعتبر هذا التيار أن اضطهاد المرأة مشكلة هيكلية تتطلب تغييرا شاملا للنظام وذلك عبر وضع نظريات لطرق جديدة للتفكير في العلاقات بين الرجال والنساء[30].

وقد ذهبت الراديكاليات إلى أن هيمنة الرجال على النساء تتم عبر مؤسسات النظام الأبوي خاصة مؤسسة الأسرة التي تجعل من النساء ملكية خاصة للرجال (سواء الآباء أو الأزواج) ما يمكنهم من السيطرة على أجساد النساء وقدرتهن الإنجابية، فالزواج في نظر هذا التيار عبارة عن عقد تخضع بموجبه المرأة للرجل في مقابل الحصول على الحماية المادية والاجتماعية، وهو مؤسسة تكرس عدم المساواة وذلك من خلال العمل المنزلي الذي تقوم به النساء بالمجان[31].

إضافة إلى مؤسسة الزواج، تشارك مؤسسات أخرى في فرض الرقابة على المرأة مثل الدولة من خلال القوانين والتشريعات والقيود المفروضة على الإجهاض أو منع الحمل، والكنيسة أيضا التي حصرت دور المرأة في الأمومة فقط وجعلته الدور الوحيد الذي تحقق المرأة ذاتها من خلاله وقللت من قيمة الحياة الجنسية التي لا ينتج عنها أطفال، الأمر الذي ضيق على النساء في حريتهن العاطفية والجنسية ومهد للسيطرة عليهن.

وعبر وسائل الهيمنة التي ذكرناها من مؤسسات تشريعية ودينية واجتماعية وعبر الزواج والأمومة والعنف والاغتصاب والدعارة والإباحية يتم تشيئ النساء وتجريدهن من حق امتلاك أجسادهن وحق التصرف في قدرتهن الإنجابية، لذلك كان أبرز شعار رفعته النسوية الراديكالية هو "جسدي ملك لي "، إذ لا يمكن أن تتحرر النساء إلا باستعادة أجسادهن من النظام الأبوي[32].

كما جعلت الراديكاليات من القضاء على الأسرة الأبوية شغلها الشاغل وذلك بالدعوة إلى تحرير أجساد النساء والتشجيع على الجنس اللاإنجابي والمثلية والشذوذ والتخنث، ونهجن في سبيل تحقيق هذا أشكال مقاومة جد متطرفة مثل رفض الإنجاب والزواج وقطع جميع العلاقات مع الرجال ورفض الأدوار الاجتماعية التقليدية ومعايير الجمال الأبوية مثل المكياج وارتداء الفساتين وحمالات الصدر إذ أن هذه الأمور تشيء المرأة حسب زعمهن، لكن المفارقة العجيبة للنسوية الراديكالية تكمن في نقدها للدعارة والإباحية من جهة، واستخدامها لها كوسيلة لاستعادة أجسادهن واللعب مع سيطرة الذكور من جهة أخرى[33].

ترفض الراديكاليات التفسيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية أيضا لخضوع المرأة، وتقدم كبديل تفسيرا بيولوجيا لذلك، حيث ترجع جميع المشكلات التي تعاني منها المرأة من تهميش وتعنيف وتمييز في العمل ...إلى طبيعة المرأة الجنسية[34]، لذلك دعين إلى ضرورة إلغاء جميع الأدوار التي تعزى للإنسان على أساسه جنسه بما فيها الأمومة البيولوجية، وفي كتابها" جدلية الجنس" وفي إطار تحليلها لهذه الفكرة استعارت الراديكالية شولاميت فيرستون من ماركس وأنجلز تحليلهما للصراع الطبقي، إلا أنها استبدلت التركيز على مفهوم الاقتصاد بالتركيز على مفهوم الجنس الذي اعتبرته المحرك الرئيسي للتاريخ الذي تم بموجبه تقسيم الناس إلى طبقتين حيث تقول:" من أجل ثورة نسوية سنحتاج إلى تحليل شامل لديناميات حرب الجنس، بقدر ما كان تحليل الصراع الطبقي لماركس–أنجلز من أجل الثورة الاقتصادية، لأننا نتعامل مع مشكلة أكبر ومع اضطهاد يعود إلى ما وراء التاريخ المدون، إلى مملكة الحيوانات ذاتها"[35]، وقدمت تحليلها للصراع الجنسي على الشكل التالي:

- جميع الرجال في المجتمعات الأبوية يشكلون طبقة جنسية مسيطرة.
- جميع النساء في المجتمعات الأبوية يشكلن طبقة خاضعة مسيطر عليها من طرف الرجال.
- قدرة النساء الجنسية والإنجابية تحل محل وسائل الإنتاج في التحليل الماركسي من يمتلكها يمتلك زمام أموره ويسيطر على الطبقة الأخرى.

لذلك دعت فايرستون إلى ثورة بيولوجية (شبيهة بالثورة الاشتراكية) تطمس جميع الفروق بين الجنسين وتلغي الأدوار الجنوسية وتمكن المرأة من استعادة جسدها والتحكم في قدرتها الجنسية والإنجابية، إذ قالت" كما يتطلب ضمان إزالة الطبقات الاقتصادية ثورة الطبقات الدنيا/العاملة ووضع يدها على وسائل الإنتاج في دكتاتورية مؤقة، كذلك يتطلب ضمان التخلص من الطبقات الجنسية ثورة الطبقات الدنيا(النساء) ووضع أيديهن على تنظيم الإنجاب، واستعادة النساء لملكية أجسادهن، وكذلك السيطرة الأنثوية على الخصوبة البشرية بما فيها التكنولوجيا الجديدة وجميع المؤسسات الاجتماعية لإنجاب وتربية الطفل، وتماما كما لم يكن الهدف النهائي للثورة الاشتراكية مجرد التخلص من امتياز الطبقة الاقتصادية بل من تمييز الطبقة الاقتصادية بحد ذاته ، فكذلك ينبغي أن يكون الهدف النهائي للثورة النسوية ليس فقط التخلص من امتياز الذكر بل من التمييز على أساس الجنس بحد ذاته، بحيث لن يعود اختلاف الأعضاء التناسلية بين المخلوقات البشرية مهما ثقافيا"[36]

كما تعتقد فيرستون أن نجاح الثورة الجنسية التي دعت لها رهين بالقضاء على العائلة البيولوجية التي اعتبرتها ممرا لسيكولوجية السلطة عبر الأجيال، لذلك دعت إلى استبدال الحمل الطبيعي الذي وصفته بالعملية البربرية التي تستنزف النساء وتحد من تقدمهن وتشوه أجسادهن، بالحمل الصناعي[37] ، أو بالحمل خارج الرحم، فقد ورد في كتابها جدلية الجنس أن "تناسل الجنس البشري بواسطة جنس

واحد لصالح الجنسين سيستبدل (على الأقل بحق الاختيار) بتناسل صناعي، ستتم ولادة الأطفال لكلا الجنسين على حد سواء أو بشكل مستقل لأي منهما، وسيتم استبدال اعتماد الطفل على الأم بالاعتماد على مجموعة صغيرة من الآخرين بشكل عام، وأي دونية متبقية نحو البالغين في القوة الجسدية سيتم تعويضها ثقافيا، وسينتهي تقسيم العمل عن طريق التخلص من العمل كليا وهكذا ستتحطم العائلة البيولوجية وسيصبح وجود أي طبقة حاكمة مفارقة تاريخية عفى عنها الزمن".[38]

"لقي اقتراح فايرستون ودعوتها إلى الإنجاب الصناعي/التكنولوجي معارضة شديدة من قبل شتى الحركات النسوية بل حتى من بعض زميلاتها المفكرات الراديكاليات اللواتي يعتقدن أن الإنجاب الصناعي لا يوازي الإنجاب الطبيعي لأنه ينزع ما تبقى للنساء من قوة ويضعها بأيدي الرجال الذين يملكون الحيوانات المنوية فيتحررون من اعتمادهم على النساء في حفظ ذريتهم وتقوى بذلك سلطتهم"[39].

وفي حربهن ضد التمييز القائم على أساس جنسي شجعت بعض الراديكاليات الثقافة الخنثوية[40] التي رأين فيها حلا يمكن من خفض الفروق بين الذكور والإناث، حيث حثت النسوية "كيت ميليت" النساء على أن ينظرن إلى صفات المخنثين نظرة إيجابية، مؤكدة أنه ليس صعبا أن توجد الصفات الذكورية والأنثوية وتتكامل في شخص واحد، وأنه من الضروري أن يمتلك كل فرد الصفتين معا كي ينمو ويحيا في المجتمع بشكل أفضل وهي ترى أن الشخص المخنث يمكن أن يتشكل إذا تم التركيز على السمات الإيجابية عند الذكور والإناث[41].

ويمكن حرص أهم أفكار هذا التيار من النسوية في:

- إعلان الحرب ضد الرجال واعتبار العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة صراع فقط.
- رفض الأسرة والزواج وما يترتب عنهما من إنجاب وأمومة وعلاقات عائلية.
- التأكيد على ملكية المرأة لجسدها وبالتالي حريتها في التصرف فيه ويتضمن هذا الحق في الإجهاض أو رفض الإنجاب واستعمال وسائل منع الحمل، والحرية الجنسية التامة.
- تشجيع السحاق والحمل الصناعي كحل للقضاء على الأسرة الأبوية.
- رفض السلطة الأبوية داخل البيت وخارجه، والدعوة إلى إعادة قراءة التاريخ واللغة والدين والثقافة وجميع حقول المعرفة قراءة نسوية.

والجذير بالذكر أن نسويات هذا التيار أغلبهن من النساء الأكاديميات المشتغلات في حقل الفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة، وقد فرضن وجودهن داخل الجامعات الغربية فلا تجد اليوم جامعة تخلو من قسم الدراسات النسوية أو دراسات النوع، وقد وصلن بنفوذهن هذا إلى أعلى مناصب صنع القرار حتى أصبحن يشكلن مجموعة ضغط تتحكم في السياسات الداخلية والخارجية للبلدان الغربية، وقد استعملن هذا النفوذ في تطبيق أجنداتهن وفرض رؤيتهن ليس على الغرب فقط بل على العالم بأسره عبر مجموعة من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، ولعل أبرزها "اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أو ما يعرف باتفاقية سيداو"، والتي أجبرت أغلب الدول على توقيعها خوفا من العقوبات الاقتصادية والمضايقات السياسية، وهي اتفاقية تدعو للمساواة التامة بين الرجل والمرأة وحصر الاختلاف بينهما في الحدود البيولوجية فقط، وتقنين الإجهاض وتشجيع الشذوذ وإطلاق الحرية الجنسية....ومجمل القول أنها اتفاقية لتقنين كل ما من شأنه هدم الأسرة والأديان، وفرض النموذج الغربي للعلاقات الاجتماعية دون الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الديانات والثقافات والتوجهات.

لقد كان لانعكاس هذا الفكر النسوي على الأسرة الغربية نتائج وخيمة تمس استقرار الإنسان النفسي وأمنه الاجتماعي ويمكن أن نبرز هذه الانعكاسات من خلال النقاط التالية:

- تحويل المنازل إلى فنادق

حيث تم إفراغ البيت من سكانه، وذلك عبر تشجيع النساء على العمل ونشر الثقافة الاستهلاكية التي تدفع الفرد إلى السعي للعمل المضاعف قصد توفير كماليات لا حاجة لها وإرضاء احتياجات وهمية لا وجود لها، وعبر تصميم البرامج التعليمية بحيث تحتفظ بالأطفال أكبر وقت ممكن خارج المنزل، فلم يعد البيت يجمع أفراد الأسرة الواحدة إلا ساعات قليلة لا تكفي لتوطيد العلاقات والروابط الأسرية بينهم والتي من شأنها حمايتهم والمحافظة على جمعهم وتغذية الجانب النفسي والاجتماعي فيهم، فأصبحت البيوت اليوم أشبه ما تكون بالفنادق، مخصصة للأكل والمبيت وقضاء الحاجة، لا أنس فيها ولا دفء ولا سكينة.

- استبدال عقد الزواج بعقد المساكنة

الأمر الثاني الذي استهدفته النسويات هو عقد الزواج حيث تم إفراغه هو الآخر من معانيه وقوته، فأصبح موضة قديمة ومظهرا من مظاهر التخلف وعقبة قانونية الرجل والمرأة في غنى عنها، فاستبدل بعقد المساكنة واستبدلت الحماية التي كان يوفرها لأفراد الأسرة بقوانين مدنية وأخلاقية أخرى، فلم يعد إنجاب الأطفال خارج مؤسسة الزواج أمرا مشينا أخلاقيا ولا موجبا للعقاب قانونيا، ولم يعد اختلاط الأنساب والأطفال مجهولي النسب أمرا جللا، فكثرت الخيانة بين الطرفين وانتشرت الأسر التي تشرف عليها الأمهات العازبات واستفحل العزوف عن الزواج في المجتمعات الغربية، والضحية بالدرجة الأولى هم الأطفال، حيث أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين يعيشون في أسر غير ناتجة عن عقد الزواج سواء تلك التي كانت نتيجة عقد المساكنة أو تلك التي تشرف عليها الأمهات العازبات أكثر عرضة للأمراض العقلية والنفسية والانحرافات الجنسية وتعاطي المخدرات من الأطفال الذين يعيشون في أسر ناتجة عن عقد الزواج ويعيش فيها الأب والأم معا[42].

- تهميش دور الأب

إن فكرة الأب ترعب النسويات وتقض مضاجعهن فلا أمان مع وجود الأب فهو رمز بشري للإله الظالم ولرب العمل القاسي وللسياسي المستغل وللرأسمالي الجشع ولكل ما من شأنه أن يمتلك السلطة ويمارسها عليهن، لذلك تحاول النسويات جاهدات القضاء على النظام الأبوي وإحلال نظام أمومي تكون الأم فيه هي مركز السلطة وذلك لا يتأتى إلا عبر التخلص من دور الأب في الأسرة، ولتحقيق هذا الهدف تم التقليص من أدوار الأب إذا كان حاضرا في الأسرة، خاصة دور التربية والتأديب والاختيار لأسرته[43]، وإن غاب تتولى الحكومة دوره في الإنفاق وإعطاء النسب والتعليم والرعاية الصحية، وذلك ليوهموا الأجيال الصاعدة أن دور الأب هامشي في الأسرة، وأيضا عبر تشجيع الأمهات العازبات والمطلقات والتسويق لهن إعلاميا كبطلات، وقويات ومناضلات ورموز للتضحية، وحتى لا يتقمص الأطفال الذكور مستقبلا دور الأب يتم تربيتهم وفق القيم الأنثوية التي تقتل فيهم الفحولة والقوة والعصيان والتي تعتبر سمات مميزة للذكور، حتى أصبحنا نرى في الغرب رجالا لا شيء رجولي فيهم سوى المظهر، ولا نبالغ إن قلنا أن الحرب على الرجولة قد بلغت مداها في الغرب[44] ولسنا عنها ببعيدين ما لم نواجه هذه التيارات التي تستهدف الإنسان في فطرته وتميزه وأمنه النفسي والاجتماعي.

- تشجيع الأسر العصرية

إن التيار النسوي يعي جيدا أن هدم الأسرة التقليدية ليس بالأمر الهين خاصة مع وجود التيار المحافظ والتيار الديني اللذان يقدسان الأسرة[45]، لذلك يحاول هذا التيار ما أمكن تحقيق أهدافه بشكل خفي وناعم، ومن ذلك خلق أشكال جديدة للأسرة تتوافق مع توجهاته وأفكاره والترويج لها كبديل مناسب للأسرة التقليدية، وفي الوقت الذي نرى فيه الأسرة التقليدية تهاجم وتحاصر ويتم التضييق على أصحابها بشتى الطرق، نرى نماذج أخرى هجينة تحظى بالدعم الإعلامي والحكومي والقانوني والذي توفره لها المواثيق والمعاهدات الدولية، كتلك التي تتكون من الأم والأطفال فقط، والأسر التي تتكون من زوجين لاإنجابيين، والتي تتكون من شخصين مثليين وأطفال متبنين، ففي دراسة أجراها معهد الدراسات الأسرية بأمريكا تبين أن نسبة الأطفال (الذين تبلغ أعمارهم 12 عامًا أو أقل) الذين يعيشون في أسر مع والدين متزوجين (مع وجود الزوج)، قد انخفضت من 83٪ في منتصف السبعينيات إلى 71٪ في عام 2019. وكان هذا الانخفاض في عدد

الأطفال الذين يعيشون مع الوالدين مصحوبًا بزيادة مطردة في نسبة الأطفال الذين يعيشون مع أمهاتهم فقط، كما ارتفعت نسبة الأطفال الذين يعيشون مع أمهات لم يتزوجن أبدًا من 3٪ في عام 1976 إلى 18٪ في عام 2019[46].

وفي الختام، يمكن القول إن خطاب الحركات النسوية تجاه الأسرة يعكس تفاعلًا معقدًا بين القيم الاجتماعية السائدة في المجتمعات الغربية، والنظريات الفكرية التي شكلت أساس هذه الحركات، فقد تبنّت النسويات مواقف مختلفة تجاه الأسرة بين الإصلاح والتفكيك، وذلك بناءً على رؤيتهن لدور الأسرة في تكريس القيم الأبوية وترسيخ التمييز بين الجنسين. وعلى الرغم من أن هذه الأفكار سعت إلى تعزيز المساواة والحرية الفردية، إلا أن انعكاساتها الاجتماعية أظهرت تحديات جديدة، تمثلت في تفكك الروابط الأسرية، وانتشار أنماط غير تقليدية للعلاقات الأسرية، مما كان له تأثير مباشر على الأفراد والمجتمعات.

إن فهم خطاب الحركات النسوية الغربية تجاه الأسرة يستدعي رؤية نقدية تتجاوز السياق الغربي لتحليل مدى ملاءمة هذه الأفكار في ثقافات أخرى خاصة ثقافتنا الإسلامية، كما أن استقراء هذه التجربة يوفر فرصة لإعادة التفكير في الأدوار الأسرية بما يضمن تحقيق التوازن بين العدالة الاجتماعية واستقرار الأسرة كمؤسسة محورية في بناء المجتمعات.

الهوامش:

[1] الروم: 21

[2] آل عمران: 110

[3] أفلاطون، الجمهورية، ترجمة أحمد لطفي السيد، فاروس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ص 229

[4] المرجع السابق، الصفحة 233

[5] المرجع السابق، ص 234

[6] إمام عبد الفتاح إمام "أرسطو والمرأة" مكتبة المدبولي، الطبعة الأولى 1996 ص 50

[7] اليزابيت.أ.كلارك، الآباء والمرأة، سلسلة رسائل آباء الكنيسة، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ص 14

[8] كورنثوس الأولى 32:7

[9] سفر التكوين الإصحاح الثالث السطر 16

[10] المرجع السابق ص 14

[11] تيموتاوس الأولى الإصحاح 12 11 - 14

[12] أفسس 24:5

[13] فريدريك أنجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ترجمة أحمد عز العرب دار الفرابي ص 50

[14] Le féminisme libéral, par Camille Cottais, institut de Genre en Geopolitique, https://igg-geo.org/

[15] النظرية النسوية ودراسة التفاوت الاجتماعي، صالح سليمان عبد العظيم، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41 2014، ص 641

[16] Liberal Feminism: Definition, Theory & Examples, Olivia Guy-Evans, Updated on April 20, 2023 https://simplysociology.com/

[17] الحركة النسوية مفهومها، أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية ص 81

[18] Liberal Feminism: Definition, Theory & Examples, Olivia Guy-Evans, Updated on April 20, 2023 , https://simplysociology.com/

[19] الحركة النسوية مفهومها، أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية ص 93

[20] يشير مصطلح "الطبقة" بالمعنى الشائع إلى مجموعة متجانسة من الناس على مستوى تعليمي و اقتصادي واحد، و النظام الطبقي نظام مرتب ترتيبا هرميا، بمعنى أن الطبقات المختلفة فيه ليست متساوية في الوضع أو السلطة، ، و يركز التحليل الماركسي للنظام الطبقي على العلاقات القمعية بين الطبقات و على الإديولوجيات التي تستخدم للإبقاء على الوضع غير المنصف، أما المنظور النسوي فيضيف بعدا جديدا إلى هذا الجدل ، إذ تركز المناقشات النسوية الماركسية على إمكانية اعتبار المرأة طبقة مقموعة في ذاتها من حيت إنها تابعة للرجل داخل مؤسسة الاسرة. النسوية وما بعد النسوية ص 296

[21] الحركة النسوية مفهومها، أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية ص94

[22] المرجع السابق ص 96

[23] Le féminisme marxiste et socialiste, par Camille Cottais , publie le 12.11.2020, Institut du Genre en Géopolitique. https://igg-geo.org/

[24] انظر المبحث الأول المرأة في عصر الزراعة وانجلز ص 50 وص 60

[25] Le féminisme marxiste et socialiste, par Camille Cottais , publie le 12.11.2020, Institut du Genre en Géopolitique. https://igg-geo.org/

[26] الأسس الفلسفية للفكر النسوي ص 168

[27] المرجع السابق

[28] حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر ص 102

[29] النسوية مفهومها، أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية ص 102

[30] Radical Feminism: Definition, Theory & Examples, by Olivia Guy-Evans,updated on May 25, 2023, https://simplysociology.com/

[31] المرجع السابق

[32] Radical feminism, by Camille Cottais, https://igg-geo.org/

[33] المرجع السابق

[34] الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ص 171

[35] من جدلية الجنس، شولاميت فيرستون،ضمن النظرية النسوية مقتطفات مختارة، ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي، ترجمة عماد إبراهيم، الأهلية للطبع و التوزيع الطبعة الأولى 2010،ص 188.

[36] جدلية الجنس، النظرية النسوية مقتطفات مختارة ص 192

[37] لقد كان كلام فيرستون عن الحمل الصناعي يبدو ضربا من الجنون، إلا وأننا نشهد بداية عصر ما يسمى الذكاء الصناعي حيث نرى التطور المخيف للتقنية فلا نستبعد أن نسمع في القريب عن عمليات حمل تتم بواسطة الذكاء الصناعي حيث ينتهي دور الإنسان في تقديم البويضة والحيوان المنوي، خاصة في ظل تحكم التيار النسوي الراديكالي في الكثير من السياسات الخاصة بالأسرة.

[38] الجدلية الجنسية، النظرية النسوية مقتطفات مختارة، ص 192

[39] الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ص 179

[40] الخنوثة ANDROGYNY كلمة يونانية الأصل مشتقة من لفظي andro أي ذكر و gyn أي أنثى و تشير إلى ميوعة تحديد الخصائص المرتبطة بالتذكير و التأنيث . النسوية و ما بعد النسوية ص 268

[41] المرجع السابق ص 174

[42] Why the Act of Marriage (Still) Makes a Difference, by Harry Benson, MARCH 16, 2022, the Institute for Family Studies (IFS), https://ifstudies.org.

[43] The War on Fatherhood, February 24, 2020, by https://fathersfamilies.com/the-war-on-fatherhood/

[44] المصدر السابق

[45] عند البحث عن أهمية عقد الزواج باللغة الإنجليزية أغلب النتائج التي تظهر تكون لمواقع تابعة للكنائس أو للتيارات المحافظة.

[46] Children First: Why Family Structure and Stability Matter for Children, by AEI-Brookings Working Group on Childhood in the United States , February 28, 2022, the Institute for Family Studies (IFS), https://ifstudies.org.